

المحاضرة الثانية

الثقافة الجامعية وحقوق الانسان

(2) دور الجامعات في الثقافة

المرحلة الثانية / كلية الطب

دور الجامعات

يتحدد دور اي مؤسسة من خلال المهام المناطة بها أو التي تقوم بها فعلا. وتحدد السياسات السائدة المهام الأساسية للجامعات بثلاثة مهام تتمحور حول العلم وهي:

- 1) اعداد الكوادر من خلال التدريس .
- 2) نشر العلم والبحث العلمي (انماء العلم وتطويره) .
- 3) خدمة المجتمع وتوظيف العلم .

وبالإضافة الى تلك المهام أو من خلالها تواصل الجامعات، وبدرجة اكبر في التعاون بكثير من المهام المشتركة ، المهمة التربوية للمؤسسات التعليمية من خلال ما تقوم به من نقل القيم والسلوكيات التي تتبناها. والمهام المذكورة وإن كانت لا تنفرد بها الجامعات بل تشاركها في كل منها مؤسسة أو مؤسسات اخرى تعكس أهمية دور الجامعات في المجتمعات على المستويين الفردي والجماعي وفي نفس الوقت تشير الى ان هذا الدور دور مركب فهو – من حيث مجالاته- دور علمي واقتصادي بقدر ما هو دور اجتماعي وسياسي وثقافي و- من حيث وظيفته أو هدفه- يفترض فيه انه أساسا دور تغييري تطويري مشفوع بدور ثانوي محافظ يكرس الاستمرارية وإن كان كثير ما يصبح هذا الدور الثانوي هو الدور الرئيسي واقعيا.

أهمية الدور الثقافي للجامعات:

في ضوء ما تمهد عن تنامي الاهتمام بدور الثقافة، لا يبدو غريبا أن يحظى الدور الثقافي للجامعات باهتمام متزايد. وتعود أهمية الدور الثقافي للجامعة، اجمالا، إلى أهمية الثقافة وضرورتها لحسن اداء الجامعات لسائر مهامها الأساسية ووظيفتها الأساسية وذلك على نحو ما تبينه النقاط التالية:

العلاقة بين الثقافة والعلم على النقيض مما قد يبدو للبعض تعد العلاقة بين الثقافة والعلم، والذي تتمحور حوله (=) العلم المهام الأساسية للجامعة، علاقة متبادلة أقوى بكثير جدا مما يتخيله البعض الاخر، ونظرا لقوة ووثوق هذه العلاقة فان اختلالها على أي نحو كان لا بد وأن ينعكس سلبا على كل من الثقافة والعلم، ويمكن لقاء بعض الضوء على هذه العلاقة من خلال التذكير بان العلم هو أساسا نتاج ثقافي حجما ونوعا، كما تمثل الثقافة عامة | أساسيا في توجيه توظيف العلم سلبا وايجابا بينما يكرس العلم عقلانية الثقافة:

العلم نتاج ثقافي :

معلوم ان العلم ينمو ويتطور حيث ينشط البحث، والبحث وإن كان يستعين بالعلم الا انه في حد ذاته، ليس علما بقدر ما هو سلوك يصدر أساسا عن دوافع ذاتية أو فطرية تدعمها وتعززها أو تضعفها وتوهنها الثقافة، فمن توافرت له ثقافة داعمة للبحث تعزز لديه دافع البحث ونما علمه ومن كانت ثقافته ثقافة مناهضة للبحث ضعف دافعه الذاتي للبحث وقل علمه، ثم ان الثقافة تشكل السلوك البحثي وتوجه الرغبة في العلم فالذي تحدوه وتغلب عليه الثقافة العلمية يتوجه دافع البحث لديه نحو العلم، والذي تحدوه وتتملكه الثقافة الخرافية يتوجه دافع البحث لديه نحو الخرافة والاساطير، والذي تحدوه وتستهويه الثقافة العرفانية يتوجه دافع البحث لديه نحو المعرفة العرفانية، ونوع الثقافة بشكل طبيعة العلم حيث ان الثقافة الإبداعية تشجع الابتكار والابداع العلمي بينما الثقافة التقليدية لا تشجع الابداع العلمي وتكرس نزعة التلقي والتقليد و- ان جاز التعبير الاستهلاك العلمي وما سبق يدعم القول بان الثقافة العلمية اي الثقافة التي تدفع للإبداع العلمي هي أساس العلم والحافز عليه ومحدد طبيعته ونوعه وبدون مثل هذه الثقافة لا يزدهر العلم وهو ما يؤكد انها ضرورية للجامعة للقيام بمهامها وخاصة مهمة البحث العلمي ومهمة اعداد الكوادر.

الثقافة توجه توظيف العلم: العلم أساسا اداة والثقافة هي العامل الأساسي في ليس فقط تعزيز أو اضعاف الدافع لتوظيف العلم وانما ايضا تحديد وجهة أو هدف توظيفه أو استخدامه سلبا أو ايجابا، فبناء على طبيعة ثقافته يحرص أو لا يحرص الانسان على توظيف العلم والاستعانة به في تحقيق اهدافه، والثقافة الايجابية القيم نحو الانسان والمجتمع تدفع صاحبها الى الحرص على توظيف العلم لمصلحة الانسان والمجتمع وعدم استخدامه في ما يضرهما بينما الثقافة السلبية القيم نحو الانسان والمجتمع قد تولد لدى صاحبها عدم الاكتراث بما اذا كان ما يوظف علمه فيه ذا مردود خير أو شر على الانسان والمجتمع طالما كان يحقق له بعض أغراضه الشخصية.

ولذلك نجد انه عندما اختل توجيه الثقافة للعلم وأصبح العلم يوظف في منأى عن توجيه القيم والضوابط الثقافية المعتبرة أخطأ العلم مساره السليم وانحرف عن اهدافه الايجابية احيانا. ونتيجة لذلك انتهى البحث العلمي في بعض الحالات الى اكتشافات ونتائج ضارة تهدد بقاء البشرية مثل اكتشاف وصناعة اسلحة الدمار الشامل والتطبيقات الصناعية الضارة بالبيئة. وأقدم البحث العلمي مؤخرا على مغامرات تخل بكرامة الانسان وقد تنمخض عن عواقب وخيمة قد لا تكون في الحسبان، ومن ذلك مغامرات الاستنساخ البشري واحتمالات محاولات توظيف الهندسة الوراثية لأغراض غير مشروعة.

وهكذا يتضح انه عندما يبتعد العلم ويفصل عن ضوابط الثقافة الايجابية القيم أو يصبح اسير الثقافة السلبية القيم، يصبح من غير الممكن ضمان عدم حدوث تعارض وتناقض بين مهام الجامعة حيث يمكن - مثلا- ان تركز مهمة البحث العلمي تشجيع الاكتشافات والاختراعات التي تضر المجتمع وهو ما يتعارض مع مهمة خدمة المجتمع المناطة بالجامعة.

العلم يكرس عقلانية الثقافة: بقدر ما ان الثقافة توجه العلم يوجه العلم ايضا الثقافة حتى لا تقع هذه الأخيرة في براثن الخرافة والأساطير أو تنه في مناهات اللاعقلانية، ويختل توجيه العلم للثقافة إما لأن حظ هذه الثقافة من العلم قليل أي أن الكسب العلمي لأهلها ضعيف كما كان هو حال الشعوب البدائية وإما لحدوث شرخ في العلاقة بين العلم والثقافة يحول دون أو يضعف توجيه العلم للثقافة المعنية بالرغم من توافر حظ أهلها من الكسب العلمي، ولعل من صور مثل هذا الشرخ ما نلاحظه اليوم في بعض المجتمعات الغربية المتقدمة، أو الفئات المتعلمة أو حتى العالية التعليم في مجتمعاتنا الشرقية، والتي لها حظ وافر من العلم من ضعف أو عدم تجذر البعد العلمي في بنيتها الثقافية أي في مجمل ثقافتها مما أدى الى ظهور ما يمكن تسميته بالثنائية الثقافية، ونعني بالثنائية الثقافية هنا اظهار البعض عقليتين وسلوكين متناقضين، حيث نجدهم يفكرون تفكيراً علمياً دقيقاً في مجالات معينة مثل مجالات الدراسة والبحث العلمي بينما يفكرون تفكيراً تقليدياً لا صلة له بالعلم في مجالات أخرى مثل المجال الديني والمجال الاجتماعي، ويسلكون سلوكاً عقلانياً في مجالات معينة مثل المجال المهني العلمي بينما يسلكون سلوكاً لاعقلانياً بل خرافياً في مجالات من مثل مجال العادات الشخصية ومجال العلاقة بالآخر المغاير ومجال استشراق المستقبل، وهذه الثنائية الثقافية، وإن كانت في حد ذاتها تحتاج الى تفسير، توضح لنا الانتشار الكبير المظاهر السلوك اللاعقلاني والتفكير العلمي في المجتمع الغربي الذي ما انفك يؤكد انه المصدر الأول للعقلانية والحداثة، ولا تقتصر مظاهر اللاعقلانية تلك في المجتمعات الغربية على سلوكيات من مثل التدخين حتى الموت وانما يتعداها الى تقاليد قديمة ربما لا يتوقع البعض وجودها فيها من مثل الاقبال الواسع على خدمات العرافة والتنجيم والسحر (تشير بعض الكتابات الى انه في عام 1980 كان عدد العرافين في فرنسا حوالي ثلاثين الفا وعدد الأطباء اربعين الفا وكانت اجرة العراف هي نفس اجرة الطبيب النفسي المختص)، ولا يخرج عن السلوك اللاعقلاني في المجتمعات الغربية انتشار معضلة العنف الاجتماعي وميل البعض الى التشدد العلماني وخوض حروب لاعقلانية. ولا يخرج عن التفكير العلمي الكتابات الثقافية والفكرية الغربية المتحاملة على العنصر غير الغربي والثقافة غير الغربية والتي تروج للمقولات والنظريات الصراعية .

ولا شك أن الظواهر السابقة والتي تتنافى مع العلم والثقافة الرائدة مؤشر على الخلل في الدور الثقافي لسائر مؤسسات المجتمع ذات الصلة بالثقافة بما فيها الجامعات .

ويتضح من I و II و III أن نجاح الجامعات في تحقيق مهامها الأساسية المذكورة سابقاً رهن بنجاحها في تأمين العلاقة السليمة بين الثقافة والعلم وحيث أن ذلك لا يمكن أن يتأتى بدون العمل الثقافي الموجه يغدو واضحاً أهمية الدور الثقافي للجامعة في أداء مهامها الأساسية، والحقيقة أن الجامعة لا يمكنها القيام بمهامها الأساسية على الوجه الأكمل الا من خلال اتقانها لدورها الثقافي.

د. صلاح العبيدي